

النخبة الثقافية والعسكرية في مصر والمغرب القديم أثناء العصر الإمبراطوري الروماني الأول (27ق. م - 192م)

(فيلون اليهودي وأبيانوس الإسكندري في مصر ولوزيوس كويتوس الموري في المغرب
القديم نماذجاً)

The Intellectual and Military Elite in Egypt and Ancient Maghreb during the Roman Higher Empire (27 BC- 192 AD)

سعيد باحمد*، جامعة ابن خلدون- تيارت (الجزائر)، Said.bahmed@univ-tiaret.dz
<https://orcid.org/0009-0009-7357-6987>

2023-12-24	تاريخ القبول	2022-11-23	تاريخ الاستلام
------------	--------------	------------	----------------

الملخص

يعالج هذا المقال علاقة النخبة الثقافية والعسكرية في مصر والمغرب القديم بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية أثناء العصر الإمبراطوري الممتد من سنة 27 ق. م. وهو تاريخ تأسيس الإمبراطورية إلى سنة 192 م وهو تاريخ نهاية عهد الأباطرة الانطونيين الذين يمثلون العصر الذهبي للإمبراطورية الرومانية. وإذا كانت مدينة الإسكندرية ميناء ممونا للرومان بالمواد الغذائية ومقراً للنافيكولاريين (Navicularii) المكلفين بشحنها إلى روما، فإنها تعتبر مهذا لأشهر المثقفين مثل فيلو (Philo) في الفلسفة وأبيانوس (Appianus) في التاريخ. وبعد زوال الحضارة الرومانية أصبحت مؤلفاتهم محل اهتمام من طرف الباحثين والترجمة إلى اللغات الحية. وإذا كان المغرب القديم ميداناً للثورات المستمرة ضد الاحتلال الروماني ومخزناً ثانياً لتموين الرومان بالمواد الغذائية خاصة الحبوب وزيت الزيتون، فإنه يعتبر موطناً لأبرز الضباط في الجيش الروماني الذين ساهموا في قوة الإمبراطورية الرومانية واتساع حدودها السياسية مثل لوزيوس كويتوس الموري (Lusius Quitus).

الكلمات المفتاحية: فيلو ؛ أبيانوس الإسكندري؛ لوزيوس كويتوس؛ الإسكندرية؛ الألبارخ .

abstract

This article deals with the intellectual and military elite in Egypt and Ancient Maghreb during the Roman domination and its influence by the economic, social and political conditions from 27 BC to the 192 AD. If Alexandria had been a supplying harbour of the Romans with food, mainly grains and olive oil, it had also been the centre of the intellectual elite such as Philo the Jew in philosophy and Appianus, the Alexandrian in history. Besides Alexandria, the Ancient Maghreb had also been a second granary of the Romans and a native country of the prominent Roman generals who played a leading role in the power of the Roman Empire and the expansion of its political borders such as Lusius Quietus, the Maure.

Keywords: Philo; Appianus; Lusius Quietus; Alexandria; Alabarch

I-المقدمة

تعدُّ مدينة الإسكندرية - بالإضافة إلى كونها مركزاً أساسياً لتموين الرومان بالمواد الغذائية وعلى رأسها القمح وزيت الزيتون ونقطة العبور للمبادلات التجارية الرومانية مع الشرق الأقصى القديم - من أهم المراكز العلمية والثقافية في الإمبراطورية الرومانية، ومهداً لظهور المثقفين مثل فيلون اليهودي (Philo Judaeus) في الفلسفة وأبيانوس الإسكندري (Appianus Alexandrinus) في التاريخ. وإذا كانت كتابتهما قد حظيت باهتمامات الباحثين وترجمت إلى عدد من اللغات الحية، فإن هذه الاهتمامات تمحورت حول محتوياتها دون التركيز على العوامل السياسية والاجتماعية التي بلورت هذه الشخصيات الثقافية (Colson, 1947). فماهي العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أدت إلى بروز هذه الشخصيات الثقافية في الإسكندرية والعسكرية في المغرب القديم؟ وتعبير آخر، لماذا تعتبر هذه المدينة مركزاً للتقدم الفكري؟ وماهي جذور الأقلية اليهودية في مصر عامة والإسكندرية خاصة؟ وماهي أهمية كتابات كل من فيلون اليهودي وأبيانوس الفلسفية والتاريخية على التوالي؟ وما هو دور القادة الرومان ذوي الأصول الإفريقية في خدمة الإمبراطورية الرومانية؟

II-فيلون اليهودي

ينتمي الفيلسوف فيلون الذي عرف باليهودي (Philo Judaeus) والمولود سنة 20 ق. م. إلى الجيل الأول من الفلاسفة الإسكندريين المعاصرين للملك اليهودي هيرود الكبير وعيسى عليه السلام والقديس بولس (Paulus) (Sandmel, 1979: 3)، غير أنه لم يكن شاهد عيان لمجزرة الإسكندرية سنة 66م، ولم يكن معاصراً لتدمير المعبد اليهودي في أورشليم سنة 70م نظراً لوفاته سنة 54م (Modrezejewski, 1995: 190). وقد استقر فيلون بالأحياء اليهودية (Ioudaikai) الواقعة شرق مدينة الإسكندرية (Salvesen et al., 2020: 216) كبقية اليهود المستقرين في المدن المصرية، والذين قدروا في نظره بحوالي مليون يهودي (Karpeles, 1894: 228) بينما قدرهم جوزيف مودريزيجوفسكي (Modrezejewski) بحوالي 600 000 يهودي ومنهم 180 000 يهودي في الإسكندرية (Modrezejewski, 1995: 73).

وإذا كانت ممارسة النشاط الصناعي مثل صناعة الحلي والصناعات النسيجية (Siegfried, 1875: 5) والنشاط التجاري يعتبر من أهداف الاستقرار اليهودي في المدن المصرية كبقية المدن في العالم القديم، فإن وقوع الأراضي الصالحة للزراعة في قبضة البطالمة ثم الرومان تعد، وبدون شك، هذه الأنشطة الاقتصادية هي المصدر الوحيد للثروة بالنسبة لليهود. وهذه الحتمية الاقتصادية هي التي تجاوزها اليهود في التاريخ الحديث وذلك بشراء الأراضي من العرب الفلسطينيين لتكوين الشركات الزراعية اليهودية تحت غطاء الامتيازات البريطانية في الدولة العثمانية تمهيداً لتكوين بل لإحياء دولة إسرائيل.

وإذا كان الاستعباد الفرعوني لليهود قد أجبرهم على مغادرة مصر رغم تنوع ثرواتها الطبيعية في منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد في عهد الفرعون رمسيس الثاني (Ramses II) الذي تربع

على العرش الفرعوني من سنة 1290 ق.م. إلى سنة 1223 ق.م. (Ehrlich, 1980: 17)، فإن الظروف التاريخية التي مرت بها مصر بعد زوال السلطة الفرعونية قد ساعدت اليهود على العودة التدريجية إلى مصر. فقد بدأت أثناء الغزو الفارسي ثم تطورت في عهد الإمبراطورية الهيلينية بزعامة الملك ألكسندر المقدوني وذلك لضمان هذا الأخير الكتابي لحقوق اليهود في الإسكندرية، Karples (1894:237).

وإذا كانت مدينة الإسكندرية قد عرفت تطورا نوعيا في الميدان الثقافي أثناء الحكم البطلمي، فإن عدد اليهود في الإسكندرية والمدن الداخلية لمصر ازداد خلال القرن الثالث قبل الميلاد نظرا لتحول فلسطين إلى جزء من المملكة البطلمية وزوال الحدود السياسية بينهما من سنة 302 ق.م. إلى سنة 198 ق.م. ومما ساعد اليهود على التكيف في مصر هو تبنيهم للغة والثقافة الإغريقية (Modrejewski, 1995: 73, 80) مثلما قاموا به في العالمين الإسلامي والأوروبي في العصور الوسطى والحديثة على التوالي.

ومما زاد من تعاضم الشأن اليهودي في مصر هي سياسة الملك البطلمي بطوليمايوس (اللاجي 305) Ptolemaios Lagus

ق.م. - 282 ق.م.) المتمثلة في نقل أعداد هائلة (Zahlose) من أسرى الحرب إلى مصر. وفي عهده اتسع النفوذ الاقتصادي اليهودي، حيث اشتغلوا بإدارة الحبوب وأصبحوا من التجار الكبار وملاك السفن التجارية (Karples, 1884: 237). ولم يقتصر نشاط اليهود في الإسكندرية على الميدان الصناعي والتجاري فحسب، بل امتد إلى مصدر الثراء الاقتصادي وظهور العائلات الثرية مثل عائلة الفيلسوف فيلون (Weisse, 1884:7) والمتمثل في جباية الضرائب وهو ما ورد في الشظايا الفخارية (Ostraca) (Barclay, 1996: 24).

إضافة إلى النفوذ الاقتصادي المتمثل في امتلاك البنوك، امتدت مكانة اليهود في مصر البطلمية إلى الميدان العسكري والثقافي. ففي عهد الملك البطلمي فيلوميتر (Philometor 180 ق.م. - 164 ق.م.) انخرط اليهود في الجيش البطلمي وكونوا فرقا عسكرية خاضعة لقيادة الضباط اليهود. ولممارسة طقوسهم الدينية في مراكزهم المتمثلة في الأديرة (Synagoguen)، قاموا بترجمة كتاب العهد القديم إلى اللغة الإغريقية (Ehrlich, 1980 : 96).

وإذا كانت الفرق العسكرية اليهودية قد ساهمت في فرض الأمن والاستقرار السياسي في مصر البطلمية، فإنها تعتبر من أسباب سقوط المملكة البطلمية ووقوع مصر في قبضة الاحتلال الروماني. فبدلا من الدفاع عن السيادة المصرية، وقفت الفرق اليهودية إلى جانب قوات الغزاة الرومان المحتلة لمصر بقيادة القنصل أوكتافيوس أوغسطس (Octavius Augustus) في 1 أوت سنة 30 ق.م. وكمقابل لدورهم الإيجابي في غزو مصر، شيد لهم هذا الأخير نصبا تذكاريًا اعترف فيه بحقوقهم السياسية والعرقية (Barclay, 1996: 49).

وإذا كانت المواقف اليهودية القائمة على المنفعة الظرفية قد ساهمت في تقويض النظام البطلمي واستبداله بالنظام الروماني في مصر القديمة فقد أدت إلى وقوع الأحداث الحاسمة في

النخبة الثقافية والعسكرية في مصر والمغرب القديم أثناء العصر الإمبراطوري الروماني الأول (27 ق. م. -192 م) (فيلون اليهودي في الفلسفة ابيانوس في التاريخ ولوزيوس كويتوس الموري في الجيش الروماني نماذجا)

التاريخ الحديث كالغزو الفرنسي للجزائر ونجاح الثورة الجزائرية وكذا انهزام الألمان في الحرب العالمية الأولى، فإن الثراء والرخاء اليهودي في مصر ازداد انتعاشا أثناء الاحتلال الروماني. فقد أصبح اليهود من العائلات الثرية المقربة إلى الأباطرة الرومان مثل عائلة فيلون اليهودي التي تمكنت من الارتباط بعلاقة ودية مع الإمبراطور كاليغولا (Caligula) (Weisse, 1884: 7) الذي تربع على العرش الإمبراطوري من 18 مارس 37 م إلى 24 جانفي 41م (Ziegler und Sontheimer, 1964: 1015, 1016). ففي عهده، عين شقيق الفيلسوف فيلون اليهودي ألكسندر (Alexander) الذي يعد من أغنياء العالم القديم مسؤولا عن جباية الضرائب في مصر برتبة الأبارخ (Goodenough, (Alabarch). (1938 : 65)

وقد انعكس الثراء والرخاء الاقتصادي لعائلة فيلون على نوعية تحصيله العلمي مثلما هو سائد في العالم القديم، حيث أشار إلى تكوينه في الجيمنازيوم (Gymnasium) وهي فرصة مقتصرة على أبناء العائلات الرومانية الثرية. ومن خلال كتاباته يتضح أنه تلقى التكوين في الأدب الإغريقي، البلاغة، الموسيقى، الرياضيات وعلم الفلك (J. M. G. Barclay, 1996: 160). كما كان ملما بعلم التاريخ والأخلاق والتشريع والسياسة والميتافيزيقا (Delaunay, 1887: 14). إلى جانب تأثره بالفلسفة الأفلاطونية والنظرية الفيثاغورية في الرياضيات حول قيم الأعداد (Barclay, 1996: 164)، كما احتك فيلون ببعض الشخصيات الثقافية في مدينة الإسكندرية مثل امونيوس (Ammonius) في التاريخ وسوتيون (Sotion) في الفلسفة (Delaunay, 1887: 20).

وبالرغم من مكانته الاجتماعية واضطلاحه في مختلف العلوم، إلا أن فيلون اليهودي لم يكن طموحا في تسلق المناصب الإدارية والسياسية الرومانية. فباستثناء قيادته للبعثة اليهودية المتكونة من خمسة أعضاء نظرا لتكوينه العالي ومكانته الاجتماعية وفصاحته (Bludau, 1906: 81) للقاء الإمبراطور الروماني كاليغولا (Caligula) في روما سنة 38م لتقديم الشكوى ضد والي الروماني فلاكوس (Flaccus) وذلك بموافقة والي الروماني الجديد في الإسكندرية كايوس فيتراسيوس بوليوس (Caius Vitrasius Pollio) (Barclay, 1996: 55)، وهي البعثة التي فشلت في لقاء الإمبراطور نظرا لرفض اليهود في الإسكندرية تقديس صورته وذلك بتعليقها في المؤسسات الدينية اليهودية (Salvesen et al., 2020: 217). وقد وصف فيلون أحداث هذه البعثة الفاشلة في كتابه بعنوان "في مواجهة فلاكوس" (Adversus Flaccum) وكتابه الآخر بعنوان "حول البعثة إلى غايوس" (Legatione ad Gaium)، حيث عبر عن أسفه من التورط في القضايا السياسية، وتمحورت اهتماماته حول الاشتغال بالفلسفة التي وصفها بالملكة بين العلوم (Königin unter den Wissenschaften) (Weisse, 1884: 8).

إلى جانب الميدان الفلسفي الذي احتل فيه الصدارة بين الفلاسفة اليهود المهتمين بالفلسفة الإغريقية والذي حاول فيه الفيلسوف اليهودي فيلون تجاوز التفكير العقائدي اليهودي السائد في الإسكندرية (Barclay, 1996: 159)، تعتبر كتابات فيلون مصدرا لدراسة مصر في عهد الملك البطلمي بطليموس الثاني (Salvesen et al., 2020: 236) الذي عرف بفيلاذيلفوس

(Philadelphus) والذي حكم مصر من سنة 308 ق. م. إلى سنة 246 ق. وهي من أطول فترات الحكم للملوك البطالمة في مصر (Bierbrier, 2008: 184). ولوصف أوضاع مصر أثناء الاحتلال الروماني، يعد كتاب فيلون بعنوان "حول البعثة إلى غايوس" مصدرا هاما لدراسة أزمة الإسكندرية في منتصف القرن الأول الميلادي (Barclay, 1996: 158).

وفيما يتعلق بتاريخ التشتت اليهودي في العالم القديم، قدم فيلون اليهودي أدلة قاطعة على أن اليهود تشتتوا منذ عهد الإمبراطور اوكتافيوس أوغسطس ولم ينتظروا استيلاء الرومان على مدينة اورشليم (Jerusalem) في عهد الإمبراطور تيتوس (Titus) سنة 70م مثلما ذهب إليه بعض المؤرخين. وإذا كان اليهود متشتتين عبر مدن العالم القديم مثل مدينة الإسكندرية التي عاش فيها فيلون واقعا تاريخيا مثلما أكده فيلون، فإن استيلاء الرومان على اورشليم لا علاقة له بحياة فيلون مثلما ذهب إليه الباحث الفرنسي فرديناند ديلوناي نظرا لوفاته قبل وصول العائلة الفلافية إلى العرش الإمبراطوري في روما (Delaunay, 1887: 58).

III-أبيانوس الإسكندري

علاوة على النشاط الاقتصادي والثقافي لليهود، تميزت مدينة الإسكندرية بالنشاط التجاري والفكري للإغريق وعلى رأسهم أبيانوس الإسكندري (Appianus Alexandrinus) الذي عاصر فترة السلام الروماني (Pax romana) وثورات اليهود ضد الرومان خلال سنتي 116م و136م والتي وسعت من دائرة التشتت اليهودي، حيث عاش ما بين سنتي 90م و160م في كل من الإسكندرية وروما (Appian of Alexandria, 1899: 7).

مقارنة بالفيلسوف فيلون اليهودي المهتم بالفلسفة الإغريقية، تقلد أبيانوس المناصب الإدارية في مسقط رأسه مثل منصب والي مصر (Praefectus Aegypti) (Hannak, 1869: 6) قبل لجوئه إلى روما فرارا من القمع الروماني لليهود الثائرين في الإسكندرية سنة 116م (Appianus von Alexandrien, 1830: 5, 6). وإذا كانت ثورة اليهود قد أدت إلى إجباره على مغادرة موطنه الأصلي، فإن حياته في روما كانت عاملا في بلورة شخصيته السياسية والاقتصادية والفكرية. فإلى جانب ممارسته لمهنة المحاماة لدى المحاكم الإمبراطورية (J. Modrezejewski, 1995: 212) واشتغاله بالشؤون المالية (Parthey, 1838: 167)، تمكن أبيانوس من الارتقاء إلى مكانة العلاقة الودية مع الإمبراطور انطونيوس بيوس (Antonius Pius). كما تمكن في عهد هذا الأخير من كسب الثروة الكافية لتلبية حاجياته (Egger, 1844 : 244).

ومن خلال وظائفه الإدارية وعلاقته الودية مع قمة الهرم السياسي الروماني يتضح أن أبيانوس كان متحكما في اللغة اللاتينية التي مكنته من استغلال المصادر الرومانية الناطقة بها مثل كتاب التاريخ الليبي الضائع للملك والمؤرخ الموريثاني النوميدي الأصل يوبا الثاني (Hannak, (Juba II) 1869: 146).

ومما لا ريب فيه أن تحكمه في اللغتين الإغريقية واللاتينية (Ziegler und Sontheimer, 1964: 463, 464) واحتكاكه بالأوساط العسكرية الرومانية، حيث ارتبط بالعلاقات الودية مع

النخبة الثقافية والعسكرية في مصر والمغرب القديم أثناء العصر الإمبراطوري الروماني الأول (27 ق. م. -192 م) (فيلون اليهودي في الفلسفة أبيانوس في التاريخ ولوزيوس كويتوس الموري في الجيش الروماني نماذجا)

الإمبراطورين هادريانوس (Hadrianus) وانطونيوس بيوس (Antonius Pius) (Hose, 1994: 143) وكذا وفرة الغذاء المجاني من ولاية الأنونة (Praefectus Annonae) والاستقرار السياسي في روما قد مكنت أبيانوس الاسكندري من الاطلاع على الأرشيافات الرومانية المتعلقة بمختلف جوانب تاريخ الرومان والحضارات المعاصرة لهم وهو ما انعكس على نوعية كتابه بعنوان (التاريخ الروماني) أوروباميا (Ρομαικα) الذي أنهى تأليفه سنة 158 م (Appian of Alexandria, 1889: 15) وذلك دليل على إعجابه بالتاريخ العسكري الروماني الحافل بالانتصارات والتجارب الحربية (Appianus von Alexandrien, 1830: 7).

وبالرغم من اعتماده على المصادر المتنوعة والمقارنة بين محتوياتها مثلما قارن بين ديونيسيوس الهاليكارناسي (Dionysius Halikarnassus) وبوليبيوس (Polybius) (Peter, 1879: 127)، إلا أن أبيانوس لم يفلت من الطابع العاطفي والانحياز إلى أصدقائه الرومان كبقية بعض المؤرخين القدماء والمعاصرين. فإلى جانب إظهار العداء للفلاسفة واعتبارهم حاسدين وجائعين وفاقدين لأي دور (Wissowa, 1878: 117)، وصف القائد القرطاجي حنبعل (Hannibal) بالقساوة الشديدة واتهمه بقتل 5000 أسير روماني (Hose, 1994: 184, 185) دون التركيز على تعذيب الرومان للملك النوميدي يوغرطة بروما والقمع الوحشي لليهود في الإسكندرية وأورشليم (Peter, 1879: 525; Peter Garnsey et al., 2014: 63,).

وإذا كان أسلوب أبيانوس في الكتابة التاريخية هو الاعتماد على المقارنة وهي جزء من الروح الفلسفية، فإن التنقيص من قيمة الفلاسفة الذين حرروا الرومان من عالم الأوهام يعتبر ضربا من التناقض لدى هذا المؤرخ الروماني.

وإذا كانت تحريات أبيانوس قد أثبتت وقوع العدد الهائل من الأسرى الرومان في قبضة القائد القرطاجي حنبعل، فإن ذلك يعتبر من دلائل القوة العسكرية القرطاجية وضعف الجيش الروماني في المرحلة الأولى من الحرب البونية الثانية التي دارت معاركها في شبه جزيرة إيبيريا وإيطاليا والمغرب القديم من سنة 218 ق. م. إلى سنة 202 ق. م. ومن خلال القمع الروماني لليهود يتضح أنهم فشلوا في كسب الود الروماني رغم الوقوف إلى جانبهم أثناء احتلال مصر وصداقة الفيلسوف فيلون وعائلته مع الإمبراطور كاليغولا.

وعلى الرغم من ضياع معظم أجزاء كتابه المتكون من 24 جزء (Duff, 2003: 117) كالأجزاء المتعلقة بالتاريخ الإغريقي-الروماني، والجزر الأيونية، وتاريخ الإمبراطورية الرومانية أثناء القرنين الأول والثاني الميلاديين (Appianus von Alexandrien, 1830: 10) والأجزاء الأربعة التي أطلق عليها عنوان المصريات (Aegyptiaca) والتي خصصها لمصر كمقاطعة رومانية، وأبرز فيها أهمية مصر السياسية والاقتصادية والثقافية بالنسبة للإمبراطورية الرومانية (Appian of Alexandria, 1899: 8)، إلا أن الأجزاء التي أفلتت من ظاهرة إتلاف الانجازات الثقافية من كتاب التاريخ الروماني لأبيانوس تعتبر من أهم مصادر التاريخ القديم. ذلك أن أبيانوس لم يقتصر على التاريخ العسكري

الروماني الممتد عبر تسعة قرون من أسطورة تأسيس روما على يد اينياس (Aeneas) إلى عهد الأباطرة الأنطونيين فحسب، بل تناول تاريخ الشعوب المتصارعة مع الرومان كالقرطاجيين والنوميديين والإغريق (8: Appianus von Alexandrien, 1830). ومما يميز هذا المصدر عن بقية المصادر الأدبية هو التطرق لتاريخ المناطق المحتلة من طرف الرومان دون ربطها بالتسلسل الكرونولوجي لتاريخ الرومان، حيث كتب حول الأمم القديمة منفصلة عن بعضها البعض (Duff, 2003: 117).

ونظرا لقيمة كتاب التاريخ الروماني العلمية تعددت حوله وجهات النظر، حيث اعتبره مؤرخ التاريخ الكنسي إيفاغريوس (Evagrius) خلال القرن التاسع الميلادي مصدرا منظما. كما مجد فوتيوس (Photius) بطريق القسطنطينية خلال القرن العاشر الميلادي تبويب كتاب التاريخ الروماني ومنهجيته ووصفه وموهبة أبيانوس الممتازة، غير أن أبيانوس لم ينح من انتقادات الباحثين خلال القرن السادس والسابع عشر الميلاديين وهي الانتقادات التي كررها المؤرخ الألماني بارثولد جيورغ نيبوهر (Barthold Georg Niebuhr) خلال القرن التاسع عشر الميلادي (Appianus von Alexandrien, 1830: 14).

IV- لوزيوس كويتوس الموري

تعدّ المقاطعات الرومانية والمناطق المجاورة لها في المغرب القديم - إضافة إلى كونها مركز تموين الرومان بالمواد الطبيعية كالأخشاب والرخام والمواد الغذائية كالقمح وزيت الزيتون والنبيد مثل مقاطعة مصر- مصدرا للفرق العسكرية الفعالة في الجيوش الرومانية. فالى جانب الفرق العسكرية الثانوية المتمثلة في فرق الفرسان كالجيش النوميدي (Exercitus Numidiae) والجيش الموريطاني (Exercitus Mauritaniae) التي جلبت اهتمامات الباحثين مثل الباحث الفرنسي روني كانيا (René Cagnat, 1913)، يعتبر سكان المغرب القديم من العناصر التي وصلت إلى قمة الهرم العسكري الإمبراطوري. فقبل تأسيس العائلة السيفيرية التي تربعت على العرش الإمبراطوري من سنة 192م إلى سنة 235م على يد الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس (Septimius Severus) الليبي الأصل، لعب سكان منطقة جايتوليا (Gaetulia) الخارجة عن النفوذ الروماني (Friedländer, 1919: 108) والمتمثلة في الهضاب والسهول العليا والمناطق الصحراوية الجزائرية والتونسية والليبية الحالية دورا فعلا في الجيوش الرومانية منذ عهد الأباطرة الفلافيين. ففي عهد الإمبراطور تيتوس فلافيوس دوميتيانوس (Titus Flavius Domitianus) الذي دامت فترة حكمه من سنة 81م إلى سنة 96م تمكن لوزيوس كويتوس (Lusius Quietus) الموري الأصل ذو البشرة السوداء مثل الأثيوبيين من الارتقاء إلى طبقة الفرسان (Ziegler und Sontheimer, 1964: 108). إضافة إلى موهبته العسكرية، تميز لوزيوس كويتوس بالشجاعة مما جعله من أبرز القادة العسكريين في عصره (Peter, 1869: 165). وفي ظل تطور التوسعات الرومانية في عهد الإمبراطور ترايانوس (Trajanus 98 م - 117م) برز الدور الفعال لفرقة العسكرية المورية في الانتصار على القبيلة الداكية (Friedländer, 1919: 108; Ziegler und Sontheimer, 1964: 787).

النخبة الثقافية والعسكرية في مصر والمغرب القديم أثناء العصر الإمبراطوري الروماني الأول (27 ق. م. -192 م) (فيلون اليهودي في الفلسفة ابيانوس في التاريخ ولوزيوس كويتوس الموري في الجيش الروماني نماذجا)

وبعد نجاح الحملات العسكرية الرومانية التي شارك فيها لوزيوس كويتوس وفرقتة ضد الفرس والأرمن، ارتقى إلى منصب القائد العسكري سنة 114م (Ziegler und Sontheimer, 1964: 788). وأثناء تجدد ثورة اليهود ضد الرومان سنة 116م، كلفت الفرقة العسكرية المورية بقيادة لوزيوس كويتوس بقمع اليهود وارتكاب مجازر دامية (Franke, 1840: 295; Ziegler und Sontheimer, 1964: 788)، حيث قام بغزو المدن الفينيقية مثل صيدا (Sidon) ودورا (Dora) وعكو (Acco) وأورشليم (Jerusalem) (Caesar, 1857: 510, 511, 512). وكمقابل لانتصاراته على اليهود، عين القائد الموري لوزيوس كويتوس كحاكم عسكري على مقاطعة يهودا (Judaea). وفي أواخر عهد الإمبراطور تراجانوس (Trajanus)، أصبح لوزيوس كويتوس من أبرز القادة العسكريين الرومان الأربعة (Ziegler und Sontheimer, 1964: 788).

ومما لا ريب فيه أن ثقة الأباطرة الرومان في القادة العسكريين الموري تعود إلى قدراتهم القتالية وانسجام جيوشهم قبل وأثناء الاحتلال الروماني، وكذا تحكمهم في استخدام الأحصنة المورية المقاومة لمختلف الظروف الطبيعية لقطع المسافات الطويلة وخوض المعارك الطاحنة. كما تعود، وبدون شك، إلى وحدة صف الجيش الموري وإخلاصه في طاعة قادته رغم مخاطر الحروب وصعوبات البعد عن موطنه الأصلي المتمثل في موريطانيا.

وفي عهد الإمبراطور هادريانوس (Hadrianus) الممتد من سنة 117م إلى سنة 138م تطورت مكانة القائد الموري في نظر الرومان، حيث عين كحاكم على موريطانيا، غير أنه سرعان ما أقيـل نظرا لطموحه المتمثل في تكوين مملكة مستقلة عن الرومان (Franke, 1840: 295).

وإذا كانت ثورات الموري المضادين للرومان وطموحات الموالين لهم والمتمثلة في طردهم من المغرب القديم وتكوين الممالك المستقلة قد باءت بالفشل نظرا لقوة النظام الروماني خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين، فإنها تحققت في أواخر الاحتلال الوندالي ولا تزال آثارها المتمثلة في أضرحة الملوك الموري تبرهن على وجودها بجنوب شرق تيارت.

٧-الخاتمة

وفي الختام يمكن القول أن النشاط التجاري يعتبر من العوامل الهامة في انتشار العنصر البشري والطقوس الدينية والتقاليد الاجتماعية مثل انتشار اليهود في المدن المصرية والمدن المطلة على حوض البحر المتوسط بحثا عن مصادر الثروة. كما أن النشاط التجاري لليهود تطور من ممارسة الصناعات الحرفية والتجارة في مدن العالم القديم إلى الهيمنة على الصناعات الدقيقة والحربية وتكوين الشركات المتعددة الجنسيات في العالم المعاصر. وإذا كانت هذه الأخيرة هي الممولة لمراكز الأبحاث العلمية الحالية، فإن الثراء اليهودي في الإسكندرية يعتبر عاملا هاما في بروز شخصية الفيلسوف فيلون اليهودي وتقرب عائلته من الأباطرة الرومان. وفي ظل ثراء عائلته وعلاقته الودية مع الولاة الرومان في مصر والأباطرة الرومان ساهم فيلون في تطوير الفلسفة الإغريقية والديانة المسيحية في الإسكندرية.

ومن خلال تجربة ابيانوس الاسكندري، يتضح أن مهنة المحاماة تعتبر من الطرق المؤدية إلى المناصب العليا في الإمبراطورية الرومانية والتمكن من الاطلاع على الوثائق التاريخية. كما أن الأحداث السياسية كثورة اليهود تعتبر سببا في تنقل المفكرين بحثا عن المناطق المستقرة. هذا ويعتبر ارتباط ابيانوس الاسكندري بالأوساط العسكرية الرومانية نعمة ونقمة على إنجازهِ التاريخي. فبالرغم من مجهوداته الجبارة المتمثلة في استخدام المصادر المتنوعة لتحريّر كتابه المتعلق بالرومان والشعوب المعاصرة لها، إلا أنه انحاز إلى جانب الرومان ووضع الفلاسفة في مقام الجائعين. والجدير بالذكر أن ضياع نصف هذا الانجاز التاريخي يجب أن يكون درساً للحفاظ على ما تبقى منه وكذا الانجازات التاريخية الممتدة عبر مختلف الفترات التاريخية نظراً لاحتوائها على تجارب الشعوب في معظم الميادين.

ومن خلال الدور الفعال للقائد العسكري الموري الأصل خلال العصر الذهبي للإمبراطورية يتضح أن الأباطرة الرومان كانوا معترفين بجدارة الجيتول والمور. ورغم كون هؤلاء في خدمة الرومان، إلا أن الرغبة في استرجاع سيادة المغرب القديم تعتبر من خصائص سكانه عبر العصور.

قائمة المصادر والمراجع

1. Philo, (1947)◦ the Embassy to Gaius, transl. by F. H. Colson. London: Heinemann.
2. Appian of Alexandria, (1899), Roman History, transl. by Horace White. London: George Bell.
3. Appianus von Alexandrien, (1830), römische Geschichte übersetz von Ferdinand Dellenius. Stuttgart.
4. Barclay (J. M. G.), (1996), Jews in the Mediterranean Diaspora: from Alexander to Trajan (323 BC-117 CE). Edinburgh: Clark.
5. Bludau (A.), (1906), Juden und Judenverfolgungen im alten Alexandrien. Münster, Aschendorffschen.
6. Delaunay (F.), (1887), Philon d'Alexandrie. Ecrits historiques, influences, luttes et persécutions des Juifs dans le monde romain. Paris, Didier.
7. Duff (T. E.), (2003), the Greek and Roman Historians. London: Bristol Classical Press.
8. Egger (A. E.), (1844), Histoire ancienne de la vie et du règne d'Auguste. Paris, Les Belles-Lettres.
9. Ehrlich (E. L.), (1980), Geschichte Israels: von den Anfängen bis zur Zerstörung des Tempels (70 n. Chr.). Berlin, Gruyter.
10. Garnsey (G.) et al., (2014), the Roman Empire. Economy, Society and Culture. London: Bloomsbury Academic.
11. Goodenough (E.R.), (1938), the Politics of Philo Judaeus, Practice and Theory. New Haven: Yale University Press.
12. Hannak (H.), (1869), Appianus und seine Quellen. Wien.
13. Hose (M.), (1994), Erneuerung der Vergangenheit. Die Historiker im Imperium Romanum von Florus bis Cassius Dio. Stuttgart, Teubner.
14. Karpeles (G.), (1894), Handelsgeschichte der Juden des Altertums. Braunschweig, Meyer.

- 15.Modrezejewski (J.), (1995), the Jews of Egypt from Ramses II to the Emperor Hadrian. Philadelphia: Jewish Publication Society.
- 16.Parthey (P.), (1838), das alexandrinische Museum. Berlin, Nicolae.
- 17.Peter (C.), (1869), Geschichte Roms in drei Bänden. Halle, Waisenhaus.
- 18.Peter (C.), (1879), zur Kritik der Quellen der älteren römischen Geschichte. Halle, Waisenhaus.
- 19.Salvesen (S. A.) et al., (2020), Israel in Egypt. The Land of Egypt as Concept and Reality for Jews in Antiquity and Early Medieval Period. Leiden: Brill.
- 20.Sandmel (S.), (1979), Philo of Alexandria: an Introduction. New York: Oxford University Press.
- 21.- Siegfried (S.), (1875), Philo von Alexandrien als Ausleger des Alten Testaments. Jena, Hermann Dufft.
- 22.Weisse (S.), (1884), Philo von Alexandrien und Moses Maimonides. Ein Vergleichender Versuch. Halle.
- 23.Caesar (J.), (1857), "der parthische und jüdische Krieg Trajans nach den Quellen", in Zeitschrift für Altertumswissenschaft, No. 64. Marburg.
- 24.Bierbrier (M. L.), (2008), Historical Dictionary of Ancient Egypt. Lanham, Maryland: Scarecrow.
- 25.Wissowa (G.), (1878), Realencyclopädie der klassischen Altertumswissenschaften. Neue Bearbeitung, Band III. Stuttgart.